



منذ العام الأول للثورة الإسلامية وحتى عامنا هذا 2015، والولاية الإيرانية على لسان قائدها الأعلى تواصل نشيدها اليومي، بوصفها المنقذ القدري الذي اختارته السماء، لـ(إصلاح العالم)، ومثل هذه المقوله التي تمنح إيران دور (السوبرمان) على الطريقة الهوليودية، تعد امتداداً للمطلقات المعاوائية، والتفكير النخبوi الذي تتسم به دعاوى أممية الولاية المتطلعة دائمًا إلى ما وراء حدود رقعة إيران الجغرافية، بدعوى نشر الفضيلة واقتلاع جذور الفساد في العالم كله، والزعم بأن ثورة 11 شباط هي ثورة الله، وأن الشعب الإيراني هو شعب مقدس، وأرضه هي أرض الوعد الإلهي، كل هذه الدعاوى وغيرها ساعدت على انسلاخ أنصار الفقيه عن واقعهم التاريخي، فبدؤوا يصطنعون لأنفسهم أدواراً مقدسة ومهماز كونية، ومسؤوليات إلهية تفصلهم عن معطيات الواقع فتجعلهم يدورون حول أنفسهم خارج الثورة والحياة والتاريخ.

ومن بين المقولات المتعالية على الواقع الإنساني:

أولاً: إنقاذ المظلومين والمحروميين في العالم [1]

إيران معنية بإإنقاذ المستضعفين والمظلومين والمحروميين والفقراe وأبناء السبيل، وهذه المهمة، مساحتها كوكب الأرض كله، فالولاية معنية بموجب الوثيقة الدستورية بتحقيق القسطاس المستقيم، مما يعني استعادة موازين العدالة المغيبة عن عالمنا، عن طريق قيام الولاية في رد الحقوق لأصحابها من معنبي الأرض أينما وجدوا وأقاموا، فهي المسؤولة عن مقارعة القهري السياسي والطبيقي، وهي لا أحد سواها، من يتولى رفع المظالم عن المظلومين، وإنصاف المحروميين من الغاصبين. لا الولاية ولا قادتها يدركان بأن (الشعوب لا تتحرر من الخارج). وأن العصر الراهن قد غادر الشعارات التحريرية.

والسؤال الكبير هو في أي جانب يقف المرشد بوصفه قائداً لجيش المظلومين من ذوي الحاجة والمحروميين وأبناء السبيل، الذين قطعوا أعمارهم تحت خط الإملاق؟!

لم نتبين موقع القائد الأممي الذي يفترض أن يكون طليعياً في الحرب على الفقر والمسفحة، وهي قضية القضايا التي توجب على رأس الدولة ومرشدتها أن يكون في قلب هذه المعركة، حاملاً هموم الجماهير المحرومة اليائسة.

وقد خرج البؤساء بالموعظة التالية (“أما نحن فمكلفون بإإنقاذ المحروميين المظلومين، نحن مأمورون بإعانة المظلومين ومناؤة الظالمين، كما فعل الأنبياء والعلماء بعد الرسول.. مهمتنا تشكيل حكومة إسلامية لتحطيم الحكام الخائنين والمفسدين وإقامة الدولة الإسلامية لتحمى الحمى وتذب عن البيضة وتصون الديار”) [2].

وإذا كانت الولاية في النظرية كما في تطبيقاتها العملية، لم تمس أو تقترب حتى يومنا هذا من إنصاف المظلومين في إمبراطورية البازار، أو تعالج بنية العلاقات شبه الإقطاعية السائدة في المجتمع الإيراني على نحو يرفع من خط الفقر الطاحن، ويخفف أوجاع معدني إيران أو الشعوب الإسلامية. فكيف يمكن لهذه الولاية أن تنفذ أو تصلح حال المحروميين فيما وراء البحار والجبال؟

قال لي أحد الأصدقاء الإيرانيين يوماً: إن الثورة الإسلامية أقدمت فعلاً على هدم أحيا الصفيح والخرائب العشوائية جنوبي طهران، لكنها اكتشفت بأنها لم تهيئ مساكن بديلة إلا بعد حين.. ولو أن إيران خصصت 50% من ميزانية الأنشطة الخارجية مما له علاقة بتصدير الثورة، لما بقي فقير واحد في إيران على حد قول الصديق.

ثانياً: كعبة المستضعفين:

قياس تمثيلي، استخدمه السيد خامنئي، ففي رأيه "أن إيران هي البلد الوحيد في العالم، الذي اختفت فيه مظاهر الرشوة، والفساد، وتحوّل بفضل الثورة إلى كعبة المستضعفين". [3].

لعل الحماسة (الثورية) للقائد الفقيه، جعلته ينسى أو يتتجاهل أن للثورة (النموذج) في العادة قوانينها التاريخية تبدأ حركتها داخل (الزمان والمكان)، وليس خارجها.. ولكي تصبح الثورة، إنجازاً واقعياً، لا بد لها من تغيير خارطة الواقع الاجتماعي نحو الأفضل، وبعبارة أخرى إعادة صنع الحياة وتشكيل قسمات طريق التقدم الاجتماعي،.. فكيف يمكن للتجربة أن تصبح مثلاً لمستضعفـي العالم، أو كعبة أخرى للمسلمـين، والمنطق الذي تتمسـك به منذ قيامـها (1979) وجـتـيـ الـيـومـ، يلزمـ كـافـةـ القـوـىـ وـجـمـوـعـ الشـعـوبـ إـلـيـسـلـامـيـةـ بـتـبـيـنـ فـكـرـ ذـيـ لـوـنـ وـاـحـدـ، وـتـرـفـضـ آـرـاءـ الـمـسـتـضـعـفـيـنـ أـنـفـسـهـمـ؟ـ هـذـاـ عـدـاـ أـنـ الثـورـةـ التـيـ رـفـعـتـ شـعـارـاتـ الـمـجـمـعـ السـعـيدـ، وـالـمـدـيـنـةـ الـفـاضـلـةـ، لـاـ تـزـالـ تـائـهـةـ بـيـنـ تـنـاقـضـاتـ الـثـنـائـيـةـ وـتـحـديـاتـهـاـ.

- الجامعة - الحوزة

- الأندي - الملا

- الإصلاحي - المحافظ وما بينهما من ألوان وظلال

- الحرية - الاستعبـاد

- الديني - الآخرـي

- الاستقامة - الضـالـةـ

- الحاضـرـ - المستـقبلـ

ما تنشره الصحف الرسمية من إحصاءات مذهلة لعدد المدمنين على السموم البيضاء.. والأرقام المخيفة لحجم التداول والاتجار بهذه الموارد؟ في وقت تتزايد فيه معدلات البطالة، ويترافق مبدأ الشعور بالظلم، لدى شرائح واسعة من الشعب الإيراني، ففي الجمهورية الإسلامية، لم يعد الجمهور يبحث عن الخبر قدر نضاله من أجل الحرية والكرامة الإنسانية، ولم يعد لدى الكثريـنـ، منـ الشـيـابـ ماـ يـتـطـلـعـونـ إـلـيـهـ فـيـ الـغـدـ؟ـ [4]

أو لعل قيادة الدولة لم تزود حتى الآن بالتقارير الرقمية لهذه الظاهرة التي تصنف مستويات (الإيذاء) الجسدي الفاجر، الذي يتعرض له المواطنون، بعد أن أصبح التعذيب ظاهرة شائعة خاصة في سجون العاصمة والمدن الكبرى، وقد شهد العالم

كله ما جرى للانتفاضة الخضراء في طهران (صيف 2009) وكيف حول الحرس الثوري وال مليشيات الحكومية (البسیج وأنصار حزب الله) الرايات الخضراء إلى غابة حمراء بدم الشباب الباحث عن العدالة المفتقدة في فردوس الفقيه. و لعل ما يحدث في هذه الأيام لعربيستان الباحثة عن الحرية، المطوفة بالأسلحة الثقيلة، والحملات الفاشية في قمع انتفاضة شعبنا العربي في الأحواز، وتعرض الكثرين من المتظاهرين للضرب حتى الموت، ولما تزل أعمدة المشانق في المحمرة و عبادان تنزف بدماء الشهداء. [5]

ثالثاً: الوحدة الإسلامية:

يبدو أن الفقيه لم يرَ أبداً مسافة تفصل الثورة عن الوحدة فيطمئن المسلمين إلى أن الوسيلة الوحيدة إلى وحدة الشعوب الإسلامية، هي بناء النموذج المثالي لدولة العدل (الفقيه) القادرة وحدها على القضاء على الاستعمار و عملائه في البلدان الإسلامية، ذلك أن الثورة الإسلامية واحدة تبدأ من إيران ولا يتوقف نشاطها حتى تأتي على النظم كلها، فتعود إلى الأمة و حدتها وهيبيتها وقوتها، فيرهبا الاستعمار و تتحصر أطماع الصهيونية[6]

و تفكير الفقيه على هذا النحو تفكيراً نخبوياً إذ إنه يرى أن حركة التطور الحقيقية لا بد وأن تؤدي إلى ظهور "النموذج الممتاز" وما إيران إلا الخلية الأولى المرشحة لقيام تجربة "دولة الفقيه" صعوداً إلى "المطلق" والجنوح إلى مثل هذه الغاية اللا تاريخية، يتحتم أن ينحل فيها الزمان و يتلاشى المكان.. عنئذ يكون من العبث الحديث عن قضية كبرى بهذا المستوى من الأهمية، بتجاهل إرادة الأمة، أو إجماع رأيها على "الوحدة الإسلامية".

البيئة هنا وفي هذه القضية بالذات جلية واضحة، فالآمة الإسلامية في أدبيات الحكمية الإيرانية، وتحت سلطة الفقيه الإلهية المطلقة، ينعدم دورها بالكامل، ولا وزن لإرادتها، فمن تمام الدين أن تمثل و تخضع لوليهما و راعيهما، وهو وحده من يقرر وهو من يفتى، ومن واجبهما الديني؛ الإنقیاد التام للمرشد الإيراني و الطاعة العميم لأوامره بوصفهولي أمرها الوحيد، لذلك لم يسمح الخميني من قبل ولا خامئني من بعد أن يشاركه أحد سلطته الدينية المطلقة، وقد حرر المرشدان تحريما مطلقاً إبداء رأي أو إلقاء سؤال يتعلق بالولاية المعصومة، أو بقداسة الفقيه.. ومن تجرأ من العلماء على ذلك كان مصيره غياب السجن أو الموت، ليصبح نسيباً منسياً..

ولذلك فإن "الوحدة" الإسلامية التي يطالب بها السيد الخميني إنما تتعين ضرورتها فقط في مشروع الولي الفقيه، وليس من حقيقة كونها تعيناً حتمياً عن وحدة مصالح الشعوب الإسلامية ضد القهر الظبي و الإمبريالي. ولذلك فهي "وحدة" فوقية مفروضة بالقوة. توجها وصاية الفقيه نفسه وهي مرحلة من مراحل الأيديولوجية الدينية كما يقدمها كاتب الحكومة الإسلامية، حيث يتحول فيها (الخاص) إلى (عام) و(الجزء) إلى (كل) و(الحالة) إلى (ظاهرة) و(الفكرة) إلى (حركة). و(الدولة) إلى (إمبراطورية)

تحت نيران الحرب المستعرة على جبهتي العراق وإيران، أعلنت طهران عام 1981 عبر ممثلي سلطتها أنها ماضية في حمل رسالتها الوحدوية إلى عموم البلدان من أجل تحقيق (الجمهورية الإسلامية العالمية).

وفي ضوء هذا الهدف الكوني (الکوزموبولوتي) فقد صممت ولاية الفقيه الخارطة الجديدة للعالم من خلال تنظيم مراحل العمل الدعوي (الأعمى)، بموجب المناطق الجغرافية الثلاث التالية:

- المنطقة الأولى: وأطلق عليها (المنطقة السوداء) تشمل القارة الأوروبية، والولايات المتحدة الأمريكية و حلفاءها.
- المنطقة الثانية: واصطلح عليها (المنطقة الحمراء) والتي تمثل الاتحاد السوفيتي وممتلكاته ومن يقع في دائرة نفوذه

الأيديولوجي في أوروبا الشرقية (الدول الاشتراكية)

- المنطقة الثالثة: وهي المكان الجغرافي المؤهل لإقامة الجمهورية الإسلامية أو ولاية الفقيه العالمية، والتي سميت بـ(المنطقة الخضراء) وقد تم تثبيت حدود العالم الإسلامي من إندونيسيا إلى المغرب وتشمل الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي وألبانيا والأجزاء التي يقطنها المسلمين في يوغسلافيا، باعتبارها كياناً واحداً خاضعاً لولاية الفقيه.

يقول الإمام الخميني: "هذه الدولة أو الحكومة وجدات فعلاً في عهد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفي عهد الإمام علي (ع) فإننا نؤمن بأنها قابلة للتجديد لكن الظالمين عبر التاريخ منعوا توضيح الإسلام.." [7]

ولئن كان النص عائماً وغامضاً، فإنه يحمل دلالة ذاتية قوامها التبشير بنموذج مهدي منتصراً (.. إنها الرأيats السود الآتية من إيران) - [8]

هذا ما كان يسعى إليه السيد الخميني ويبشر به "إني أرى الرأيats السود قد قرب موعدها". [9]

وقد قدم رجال الدين الإيرانيون دراسات تفسيرية مستفيضة حول مرامي نصوص ولاية الفقيه المتعلقة بـ(الوحدة الإسلامية) وحول الضرورات التي توجب قيامها، وقد انتهى المنظرون إلى نتيجة واحدة، وهي؛ (أن الجمهورية الإسلامية في إيران بنموذجها الإلهي المبارك، ستطوي بقيادة الإمام الخميني قريباً صفحة العراق إلى الأبد، عندها سنبدأ ببركات الإمام المهدي تحقيق الثورة الإسلامية الكبرى بفتح مكة وبغداد وغيرهما من الأقطار العربية والإسلامية) [10].

بمثل هذه الإستراتيجية المثلثة بـ(التنبؤات المهدوية الذاتية)، تتبدى أحاديث الولاية القائمة على تراث مذهبي مغلق، لا يقبل أي شكل من أشكال التنوع، أو التفاعل، أو الحوار، لكنه ينطلق من (دوجماً كونية) تلغى الفوارق والحدود التاريخية بين الدول وتتخذ من العنف المسلح أو التهديد به؛ مبدأ لها لتنفيذ برامجها الأيديولوجية ذات النزعة التوسعية.

رابعاً: ضرورة الثورة السياسية:

مفهوم الثورة في الفقه السياسي وفي أبسط معانيه يعني علم تغيير المجتمع نحو الأفضل، من خلال إعادة بناء العلاقات الاجتماعية على نحو يمنع الاستغلال الظاهري، ويحقق العدالة بين المواطنين، فيما ينصرف مدلول الثورة في منطق السيد الخميني، إلى (الخارج) من غير المرور بـ(الداخل الإيراني) فالتغيير الذي يؤمن به المرشد الأول وعلى حد قوله: (أن نعمل على هدم أنظمة الشرك الفاسدة ونحطم زمن الجائزين من حكام الشعوب) [11] وبصرف النظر عن التبريرية التي تذرع بها الفقيه، فال فعل الوجوبي (الضوري) الذي تترجمه لفظة (أن نعمل) ليس أكثر من رؤية متعلالية لا سند لها ولا حجة تقوم عليها، فالضرورة الخمينية هنا هي الخروج بالثورة إلى الفضاء الخارجي، مفارقة لكل أشكال الجدل الصوري البسيط والتاريخي المركب، وهي أقرب إلى الحتميات الذاتية، اصطمعها الفقيه للقفز على ترتيبات الواقع، إلى ما وراء المكان الإيراني، فضرورة الثورة التي يدعو إليها السيد الخميني، لا تعني إحداث تغيير محلي ينحصر في اقتلاع البهلوية، بل يتتجاوز حدود الدولة الإيرانية، ويمضي بـ(القوة الصلبة) إلى القضاء على أنظمة الدول في المجتمعات الإسلامية كافة، إن مثل هذه الدعوى، ووفق هذا التعميم؛ يجنب المرشد الأول إلى (أبوية إمبريالية) بوصفه وصياً على المسلمين كافة، هذا الطراز من الجبريات القاهرة لا تنطوي على (الكلية) التوسعية فقط، بل تتعداها إلى تصميم نتيجة مسبقة تحمي بإزالة جميع النظم في البلدان الإسلامية باعتبارها كيانات مشركة، يتعين تدميرها. دون أن يقدم من جانبه برهاناً واحداً يدعم به حجته في التكفير أو يعلل صحة دعوى الشرك.

ذلك أن الفاعدة القانونية الشرعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب وجهة النظر الإسلامية تبتدئ بشروط يلزم

الإسلام توفرها، إذ يتعدّر تطبيق الأمر الأخلاقي بغيرها، ولا تعين ضرورته الشرعية إلا بوجودها، ويسقط بانتفائها.

فالذى أجمع عليه المسلمين بمختلف مدارسهم الفقهية يقضي الشروط التالية [12] -

1- مطلوب من الفقيه قبل أن يقدم على تعميم قراره أو يصدره أن يعلم بوعي تام، أن المأمور الذي يتصدى له ويدعو إليه هو (المعروف) وأن المنهي عنه هو (منكر). إذ إن مثل هذا الشرط الأولى ضروري، ويجب معرفته ابتداء، تجنباً للخلط بين طرفي المبدأ في الأمر والنهى، أو الدعوة والمنع، لذلك أوجبت الشريعة التمييز المحقق، والتثبت المؤكّد، والحذر من مغبة التسرع، خشية ال الوقوع في الخطأ، من قبيل إطلاق الأحكام العجولة أو قدف التهم دون التحق من صحتها. الأمر الذي قد يحول المسألة إلى الضد تماماً، كأن يأمر بمنكر وينهى عن معروف.

2- يستدعي الشرط الثاني، العلم بالدليل المادي في تحقق المنكر وتعيين وجوده، وتعليق الضرورة الشرعية القصوى لإزالته أو تغييره.

3- ضرورة أن يكون هناك الامر متوجهها نحو هدف تحكمه ضوابط (قبليّة - apriori) لثلا يفضي إلى مضرّة أكبر منه ، فإنه لو غلب ظنه على سبيل المثال بأن نهيه عن شرب الخمر يؤدي إلى قتل جماعة من المسلمين أو إحراق مدينة، لم يجب هذا النهي، وما لم يجب لا يحسن.

4- يتوجب التأكّد علمًا وبغالب الظن أن لقول الامر وتوجيهاته تأثيراً في أمره ونهيه.

وفي ضوء ما تقدم، ليس ثمة من علة أو سبب لهذه الثورة، سوى حكم شخصي طليق أصدره الفقيه، جوز فيه لنفسه وجوب (هدم أنظمة الشرك الفاسدة)، ولا نعلم على أي علة أو قياس استند السيد الخميني لتسويغ مثل هذا القرار الخطير؟! إلا إذا كان يستشعر نفسه وصيا على شؤون العالمين!

وهو ما عبرت عنه الولاية ذاتها، يوم شهرت سلاحها الإعلامي، بوجه الشيطان الأكبر، وبدلاً من مصارعة العدو الرجيم، فضلت أن تتجه بماكناتها العسكرية إلى ما وراء حدودها الغربية، فالأقرابون أولى من البيت الأبيض بالمعروف!، وهكذا قامت إيران بقلب الحجة الشرعية على رأسها. لتشغل العالم كله بحرب ضروس على مدى ثمان سنوات طاحنة، فقد فيها البلدان العراق وإيران ملابين الضحايا والجرحى والغائبين، وتحت الشعار نفسه تعود طهران مجدداً ومرة أخرى إلى رقعة الشطرينج الدموية، من بغداد إلى دمشق، ومن لبنان إلى اليمن في محاولة (تطبيق الثورة السياسية) على الشعوب نفسها ، في اصطدام ثائر هنا أو إغتيال مقاوم هناك ، ثبيتاً وتمكيناً لانظمة حكم خانت شعوبها!

المراجع

[1] ولادة الفقيه ص.40.

[2] المصدر السابق 40-41.

[3] السيد علي خامنئي. خطاب 4 أبريل 2005.

[4] عبدالستار الراوي. الفقه السياسي الإيراني المعاصر ص.51.

[5] راجع (وكالات) بيانات اتفاقية الأحوال 2011.

[6] الولاية ص.35.

[7] عبدالستار الراوي، مقدمة أولى في الأيديولوجية الإيرانية. مركز البحوث والمعلومات 1982.

[8] أمير طاهري. الساندي تاميز عدد 7/2/1382

[9] الولاية ص 65.

[10] إدوارد سوبليه. دور رجال الدين. مجلة اجتاز إيران. بون - ألمانيا الغربية العدد 35 في 18/10/1981 . و جريدة إطلاعات إيرانية عدد 23/10/1980

[11] ولاية الفقيه. مصدر سابق 34.

[12] عبدالستار الراوي. العقل والحرية. بيروت 1980 ص 435-436.

مركز أمية للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

المصادر: